

ملاحح مسرح بريخت في مسرحيات د. سناء الشعلان مسرحية "دعوة على شرف اللون الأحمر" نموذجاً

السيد عباس ب.م *

د. عبد المجيد ت.أ. **

المسرحية لغةً هي كلمة مشتقة من المسرح، وهي الخشبة التي يُقدّم نص سردي عليها، أما اصطلاحاً فهي نوع من الفن الأدبي الذي تمثل فيه فئة من الأفراد حادثة إنسانية، حيث يحاكون أدوارها بناءً على حركتهم ودورهم على المسرح، بالإضافة إلى الحوارات التي تتم بينهم فيها، وقد تكون جميع أحداثها متحققة، أو بعضاً منها متحقق، ويجوز أن يكون قسماً منها من الخيال أو من الواقع، والغاية من هذا الفن الأدبي هي الانتقاد، أو التثقيف، أو المتعة الفنية، أو العظة.

المسرح يدل على المكان الذي تمثل فيه المسرحية أي مكان تجري فيه أحداث المسرحية. فالمسرح هو حاجة اجتماعية عامة ويرتبط المسرح بالحياة أشد الارتباط، لأنه يتصل اتصالاً مباشراً بمشكلات الحياة التي تقع بين الناس وتمثل في حياة النفس الإنسانية. فالمسرح أحد فنون الأداء أو التمثيل الذي يجسد أو يترجم قصص أو نصوص أدبية أمام المشاهدين باستخدام مزيج من الكلام، الإيماءات، الموسيقى والصوت على خشبة المسرح، وبسبب ذلك سمي المسرح بأبي الفنون، لأنه يجمع عدة فنون كالرواية أو القصة مع الرقص والصوت. نجد المسرح يقوم على ثنائية (النص \ العرض) حيث أن الطرف الأول في الثنائية يجعله قريباً من الأجناس الأدبية، في حين يجعله الطرف

* باحث، قسم اللغة العربية، جامعة كالكوت، الهند.

** مشرف البحث، قسم اللغة العربية، جامعة كالكوت، ومدير يوجي سي اتش آردي سي (UGC-HRDC)، جامعة كالكوت، الهند.

الثاني جزءا مما يسمى بفضون الفرجة. يعتبر المشاهدون من أهم العوامل اللازمة لإتمام ما يسمى بالعرض المسرحي، ويطلق عليهم الجمهور.

يؤدي المسرح دورا مهما في الحياة، بل إن المسرح هو الحياة، حيث يعتبر تجسيدا لقيم حياتية وإنسانية يستطيع المسرح ترسيخها في نفوس الجماهير والشعوب والمجتمعات بكل بساطة وسهولة وأريحية. فيتأثر المشاهد بالفكرة التي تعرض على المسرح من دون أن يشعر وتعلق بوجوده بعض الأفكار والشخصيات التي تأثر بها من خلال المسرح الذي يتناول قضايا مهمة وحساسة بالنسبة إليه. لذلك يعتبر المسرح محاولة جادة للتغيير حيث يساهم بشكل كبير في تغيير الأوضاع وتبسيط الضوء على القضايا المهمة وعرضها والعمل على معالجتها وهو بناء على ذلك أيضا يعتبر تمردا على ما هو موجود.

المسرح الملحمي هو حركة مسرحية ولدت في ألمانيا في بداية القرن العشرين والجزء الكبير من نشأة هذه الحركة هي نتائج نظريات التطبيقات المسرحية لبيرتولد بريخت والتي كانت مختلفة عن المسرح الأرسطي. فالمسرح عند بريخت قائم على تحرير الفن المسرحي ومنحه وظيفة تربوية وأداة ثورية لتحرير الطبقات المقهورة في المجتمع على الثورة وقد بدأ بريخت ثورته على المسرح الدرامي بخلق نموذج جديد يتماشى مع متطلبات عصره، يتمثل في المسرحية التعليمية التي ساعدته على رفع مبادئه الأولى في المسرح الملحمي شكلا جديدا مغيرا للشكل الأرسطي.

المسرح الملحمي هو اتجاه مسرحي يولي أهمية قصوى بالمضمون، ويعتبره أهم من الشكل، كما أنه يعتبر الحقيقة أهم الإيهام المسرحي والمجاز. وبرتولد بريخت هو أحد كتاب المسرح العالمي في القرن العشرين ومذهبه في المسرح يقوم على فكرة أن العنصر الأهم في تكوين العمل المسرحية من أجله هو المشاهد، حيث تكتب المسرحية من أجله، حتى تثير لديه التفكير والتأمل في

الواقع، وكذلك اتخاذ موقف ورأي من القضية التي يتناولها العمل المسرحي ويعتمد بريخت في عدة أساليب في كتابة المسرحية ومن أهم تلك الأساليب.

١. هدم الجدار الرابع والمقصود من هذا الأسلوب مشاركة المشاهد في

العمل المسرحي، كما أن هذا الأسلوب يعلي من قيمة المشاهد، ويعتبره

العنصر الأهم في كتابة المسرحية، ويعنى الجدار ان خشبة المسرح

التي يؤدي الممثلون أدوارهم تشبه الغرفة التي تتكون من ثلاثة

جدران، أما الجدار الرابع فهو وهمي، وهو الذي يقابل الجمهور.

٢. التغريب، والمقصود به جعل الأحداث العادية اليومية غريبة ومثيرة

للهشمة، وجعلها أيضا باعثا على التفكير والتأمل.

٣. المزج بين الوعظ والتسلية، أو بين التحريض السياسي والسخرية

الكوميديّة.

٤. استخدام مشاهد متفرقة، حيث تتكون بعض مسرحيات بريخت من

مشاهد متفرقة، تقع أحداثها في أزمنة مختلفة ولا يربط بين

الأحداث سوى الخيط العام للمسرحية، مثل مسرحية "الخوف

والبؤس في الرايخ الثالث" ١٩٣٨، فقد تتكون من مشاهد متفرقة.

٥. استخدام أغنيات بين المشاهد، والهدف من الفصل بين المشاهد بأغنيات

هو المزج ما بين التحريض والتسلية^١

في الحقيقة المسرح البريختي ثورة على تقاليد المسرح الكلاسيكي السائد

وقتها. فتمرد عليه بريخت واستطاع أن يمنح المسرح مجموعة قيم ومزايا

إضافية عززت من أهمية في تناول ومعالجة القضايا والمشكلات التي يواجهها

المجتمع .

^١ بريخت، برتولد. نظرية المسرح الملحمي، ص ١١٢

إن فلسفة برتولد بريخت تخالف المفاهيم الدرامية الشاسعة مخالفة صريحة في كل مناحيها وأصولها إذ تتعرض للفن المسرحي بشكل جديد تمام الجودة وبمضمون مبتكر كل الابتكار يتمثل في التغريب، من هنا كانت تلك الزوبعة التي أحدثت انعطافا واضحا في العمل المسرحي، لا في أوروبا فحسب بل في العالم عامة والمسرحي الأردني خاصة.

ملاحح البريخت في مسرحيات سناء كامل الشعلان:

وفي هذه المقالة أحاول أن أقف لدى ملاحح المسرح الملحمي في مسرحيات سناء الشعلان. ما مدي تأثير بريخت في المسرح سناء وكيف أثر فيه من الأساس. ما الدافع وراء اختيار سناء الشعلان المسرح الملحمي. هناك سبب خاص الذي دفعني إلى اختيار هذا الموضوع ومنها استكشاف مدى ارتباط المسرح البريختي بالمسرح لسناء الشعلان. ومن هذا المنطلق اتخذت الدراسة الاتجاه الذي سيتم تعريف المسرح الملحمي وتقنية التغريب التي استخدمها بريخت في مسرحه. أكد بريخت على عجز المسرح الأرسطي (الكلاسيكي) عن توصيل رسالة تستفز تحرص المتلقي وتستفزه وتثير غضبه وتجعله عضوا فعالا. يتمرد على الأوضاع السيئة ويعمل على تغييرها. لذلك كرس بريخت اهتمامه على تحطيم الإيهام.

تقول الشعلان عن هذه المسرحيات: "أكتب المسرح عندما يكون الحس الدرامي الصراعي مستيقظا في داخلي إلى حد أنني أشعر بأن الشخصيات تتصارع في أعماقي، عندما لا أستطيع أن أمنعها من الخروج على خشبة المسرح التي في ذهني للتعارك عليه حتى أسجل ذلك الورق، ويخرج النص المسرحي مكتوبا على الورق"

سيلفي مع البحر ومسرحيات أخرى:

وهي مجموعة مسرحية تضم ست مسرحيات وهي دعوة على شرف اللون الأحمر، وسيلفي مع البحر، ووجه واحد لاثنين ماطرين، ومحاكمة الاسم والسلطان لا ينام وخرافية سعيدية ام الحظوظ. تتراوح المسرحيات بين مسرحيات متعددة الشخصيات وبين مسرحيات مونودرامية، وهي تقدم الصراعات التي يعيشها الإنسان لا سيما العربي ظروف قاسية. تقول الشعلان عن هذه المسرحيات: "أكتب المسرح عندما يكون الحس الدرامي الصراعى مستيقظا في داخلي إلى حد أنني أشعر بأن الشخصيات تتصارع في أعماقي، عندما لا أستطيع أن امنعها من الخروج على خشبة المسرح التي في ذهني للتعارك عليه حتى أسجل ذلك الورق، ويخرج النص المسرحي مكتوبا على الورق. مسرحيات سناء الشعلان تقدم تجارب مختلفة كتبت على منوال مسرح التعريب. فإن الفكرة الأساسية بريخت هي الاغتراب.

دعوة إلى شرف اللون الأحمر:

مسرحية من مجموعة مسرحيات لسناء الشعلان "سيلفي مع البحر. دعوة معناها العام الحلف، شرف معناه الحسب بالأباء، اللون الأحمر لون أساسي يدل على القسوة والثورة والغضب والإثم والخطر. هناك دعوة يجتمع فيها أطراف معينة ومختلفة، ومبدأ هذه الدعوة وهدفها شريف وسامي أي القضية المتناولة والمتحاور عنها في هذه الجلسة والدعوة، شريفة ونبيلة ولكن السبيل لتحقيق هذا المطلب يكون بالتضحية والفداء والجهاد وهنا يعكسه اللون الأحمر. فاتضح لي أن المدعويين تمثل شرائح من المجتمع العربي "الروائية، الضابط، الطبيب، المجنون، السياسية الفجارية العسكريان المشاهدة والمشاهد المخرج وموضوع الاجتماع واللقاء هو القضية الفلسطينية وعكس ما تعانيه من ويلات الظلم والاضطهاد من خلال هذه

الشخصيات وصراعها الحاد كان الهدف هو تحقيق الحرية وتحرير فلسطين من قبضة الكيان الصهيوني، وهذا لا يتأتى إلا بالاستشهاد، والتضحية أي وضع اليد باليد، والتكافل من أجل وطننا الجريحة فلسطين وهذا عكسه اللون الأحمر في العنوان.

الأدبية "سنة الشعلان" عمدت على نقل تفاصيل الحياة اليومية من خلال شخصيات المسرحية وموضوعها العام وهذا النوع من التجريب يقوم بتقديم خبرات الحياة الشخصية. إن الكتابة الدرامية محكومة بحياتين. فالكتابة المسرحية هي الوجود الأول والعرض المسرحي هو الوجود الثاني : والعرض المسرحي يمضي ويتلاشى خارج رحم الزمن.

"إن جمالية النص المسرحي تجسدت في الموضوع المتناول الذي حاكت فيه الأدبية الوضع العربي المعاش بشكل عام والواقع الفلسطيني على وجه الخصوص. فكانت الأدبية سنة الشعلان لسان العربي الأسير والظلم وصورته في كل حالاته وحملت قضاياها على عاتقها". فهي تعادي وترفض كل أشكال الاستبداد والظلم. تصف الأدبية نص مسرحيتها قائلة: "إنه يجنح إلى التجريب المفتوح على التأويلات المتعددة والمتعاقبة مع الكثير من الرؤى الوجودية الكبرى في الحياة الإنسانية وصولاً إلى الانخراط في المبتغي الإنساني الكبير المتمثل في جملة أحلامه ووقائعه ومحرماته وتابواته وانكسراته وأحلامه وحقائقه".

تمكنت الأدبية سنة الشعلان أن تكتب هذه المسرحية على نمط البريخت. فملامح التغريب واضح لدي القراء. تعطي تجارب الجذاب لمن يحب المسرحية. من خلال قراءتنا لمسرحية سنة الشعلان نلاحظ وجود تقنية البريخت. ومن التقنيات التي استخدمتها في مسرحية "دعوة على شرف اللون الأحمر".

موضوعة التغريب:

من خلال قراءتنا نجد فى المسرحية كلمة الأحلام. بالنسبة الى الإنسان العادي والخاص لا يبالي ولا يهتم كثيرا بهذه الظاهرة من الظواهر. ولكن هنا جعلت الأديبة شعلان كلمتين "الأحلام" واللون الأحمرغريية. نلاحظ وجود خطابات ملحمية غنية بأبعاد إنسانية من خلال قولها:

الروائية: (بالنفعال) بل الأحلام ممنوعة فى كل ليلة.
الغجرية (بإصرار) بل مسموح بها لهذه الليلة فقط، لأن ضيوفك هذه الليلة مميزون

الروائية: ماذا تعني بالأحلام ذات اللون الأحمر؟

وقد وظفت شعلان التغريب فى هذه المسرحية بكل غرض وغاية. إنها تأثر بهذه التقنية وجاءت بها إلى النص لكي تتجمل المضمون. حيث يقول بريخت "تغريب حادثة أو الشخصية، وبالتالي إثارة الاندهاش والفضول حولها".

هدم الجدار الرابع:

لم تغفل شعلان استخدام هذه التقنية فى المسرحية حيث نلاحظها خلال القراءة.

-المجنون: القمر فى جيبي، هو أيضا ملون (يشير الى المشاهدين قائلًا: أنتم كالعادة متفرجون، فقط متفرجون، لاتعنيكم الأصابع المقطوعة ولا الأحلام الملونة ان أستطيع أن أقرأ أفكاركم اللعينة، كلكم تحملون بالأحلام الملونة. سيأتي اليوم الذي تعاقبون به على ذلك، العقاب آت لكل من يثبت أن فى رأسه أحلام تتلاعب به).

فالمتلقى والمشهد أعطى له أهمية فى تواصل معه عبر الخطاب المسرحي الهادف. تشير أذهان المشاهدين لإدراك مسؤولية المشاهدين فى القضايا التى تهتم بهم. إنها كلمات تبرز ما هو سائد فى واقعنا العربي الراهن وتدعو المتلقى للتفكير فيها. إذن مؤثرات ملحمية والتغريبية ذات أبعاد ضمنية تنادي المتلقى.

وفى الختام أود التأكيد على الأمر المهم التالي:
مسرحية "دعوة على شرف اللون الأحمر" مسرحية مكتوبة فى نمط وأسلوب
البريخت وهى تصوير الأحداث والمشاكل التى يعيشها الإنسان العربى بصفة
عامة، أملا منه لتغيير هذا الواقع الملىء بالصراعات والقلق والاضطراب....
هى تصور قضية فرد وأمة وشعب، بحس إنسانى وروح مشرقة على فجر
الحرية الآت فى الأفق المنتظر.

المراجع:

١. الشعلان، سناء. دعوة على شرف اللون الأحمر
٢. مزوز، اسماء. التشخيص فى مسرحيات سناء الشعلان
٣. تحريش، محمد. فى الرواية والقصة والمسرح
٤. http://en.Wikipedia.org/wiki/sana_schalan

.....♦♦♦♦.....